إشكالية
إستغفار المعصومين

Daleel

Al-Daleel Foundation
for Doctrinal Studies

سلسلة إصدارات مؤسسة الدليل 12 الإصدار

سلسلة إصدارات مؤسسة الدليل
11

إشكالية
استغفار المعصومين عليهم السلام

مؤسسة الدليل
للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Foundation
for Doctrinal Studies

http://aldaleel-inst.com
www.facebook.com/aldaleel.inst

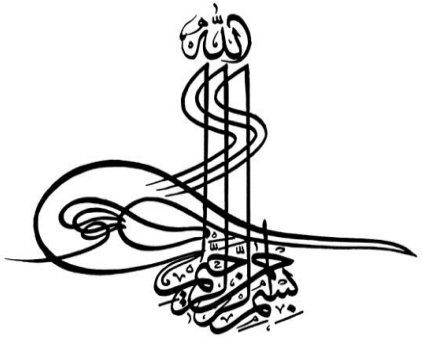
بسم الله الرحمن الرحيم

هويّة الكراس

اسم الكراسة: اشكالية استغفار المعصومين عليهم السلام
المؤلّف: الدكتور محسن محقّق
المراجعة العلميّة: المجلس العلميّ في مؤسّسة الدليل
التقويم اللغويّ: علي گيم
تصميم الغلاف: محمدحسن آزادگان
الإخراج الفنّيّ :فاضل السوداني
الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة
الرقم الدولي (ISBN): 9789922647265
حقوق الطبع والنشر محفوظةٌ لدى مؤسّسة الدليل

http://aldaleel-inst.com
www.facebook.com/aldaleel.inst

كلمة المؤسّسة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام والمرسلين أبي القاسم محمّدٍ وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وبعد.

تعدّ المنظومة الفكريّة العقديّة من أهمّ دعائم شخصيّة الإنسان وتميّزه البشريّ؛ فهي الّتي تحدّد نظرته العامة للكون وعلاقته به، ولها تأثير مباشرٌ على مساره السلوكيّ وطبيعة تعاطيه مع محيطه ونمط الحياة الّتي يعيشها، هٰذا على صعيد الفرد، وأمّا على صعيد المجتمع فإنّ المنظومة الفكريّة العقديّة تنعكس على مجمل العلاقات بين أفراد المجتمع، كما أنّها تحدّد نوع النظم (السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة) الّتي تحكم تلك العلاقات.

وعلى هٰذا فالمنظومة الفكريّة والعقديّة تتحكم بمصير الإنسان،

فإمّا أن تصنع له سعادةً واستقرارًا وحياةً كريمةً، وإمّا أن تغرقه في شقاءٍ وفوضى وإذلالٍ.

فينبغي للإنسان أن يعتني بعقيدته، وأن يطمئنّ لسلامتها من الانحراف والتشويه، وأن يبادر لمعالجة ما يشوبها بسبب الشبهات.

فاليوم وفي ظلّ الظروف الراهنة الّتي يعيشها العالم الإسلاميّ بشكلٍ عامٍّ، وبلدنا العراق بشكلٍ خاصٍّ، ندرك أنّ هناك تهديدًا كبيرًا للفكر والعقيدة الإسلاميّة الحقّة ومن دوائر مختلفةٍ، ونستشعر حاجة مجتمعنا الماسّة والملحّة لبيان معالم العقيدة الصحيحة، ورفع الشبهات الّتي ألبست على بعض الناس عقائدهم.

من هنا جاء مشروع مؤسّسة الدليل للبحوث والدراسات العقديّة التابعة للعتبة الحسينيّة المقدّسة؛ تلبيةً لهٰذه الحاجة، وليحمل على عاتقه مسؤوليّة التصدّي لدفع الشبهات، والتأكيد على العقائد الحقّة بالوسائل والإمكانيّات المتاحة؛ وذٰلك للمساهمة في سدّ الفراغ الفكريّ العقديّ الّذي يعاني منه المجتمع.

ومن أبرز تلك الوسائل المعتمدة في مشروعنا أسلوب البحث وفق رؤيةٍ علميّةٍ موضوعيّةٍ، وبخطابٍ سلسٍ شيّقٍ يتناغم مع أغلب شرائح المجتمع، فكان قرار المجلس العلميّ الموقّر في المؤسّسة إطلاق مشروع سلسلة الكرّاسة العقديّة، وهي مؤلّفاتٌ موجزةٌ في شكلها

وحجمها، كبيرةٌ في مضمونها وأهدافها؛ لمعالجة موضوعاتٍ محدّدةٍ، وحسب الحاجة الفعليّة.

ونتيجةً لما يطرح في الساحة الفكريّة في هٰذا الزمان من قبل بعض الجهات والشخصيّات ذات المشاريع الفكريّة المنحرفة عن جادّة الصواب وأتباعهم، من نشر الأفكار المعادية للاعتقاد الدينيّ، ومحاولة فصل الدين عن الحياة، والتعرّض لشخصيّات حملة أسرار الوحي من الأنبياء والأولياء عليهم السلام ولعصمتهم؛ فقد رأت المؤسّسة طرح مجموعةٍ من البحوث على شكل كرّاساتٍ توضّح حقيقة مثل تلك الأفكار والأطروحات، فكان منها هٰذه الكرّاسة الموسومة (إشكالية استغفار المعصومين عليهم السلام).

وختامًا تتوجّه مؤسّسة الدليل بالشكر الجزيل لمسؤول وحدة التدوين الموسوعيّ فيها الدكتور محسن محقق؛ لما بذله من جهدٍ قيّمٍ في كتابة هٰذا البحث، ونرجو له التوفيق والسداد، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

المقدّمة

إنّ عصمة الأنبياء من المسائل الكلاميّة المهمّة الّتي بحثت في أكثر الكتب الكلاميّة، وذكر لها المتكلّمون دلائل عقليّةً ونقليّة متعدّدةً.

إنّ الهدف الأصليّ من بعثة الأنبياء هو هداية البشر إلى الحقائق، وتعريفهم بالوظائف الّتي أمرهم الله – سبحانه – بأدائها. وإذا كان الأمر كذٰلك، ورأى الإنسان أنّ من يوصل إليه التعاليم الإلٰهيّة غير ملتزمٍ بها، وأنّ الرسل يعملون خلاف ما يدعون الناس إليه، فمن حقّ الناس أن يعدّوا عمل الرسل متناقضًا مع أقوالهم، وإذذاك لن يصبح الرسل معتمدين عند الناس، ولن يتحقّق مطلقًا الهدف الأصليّ من بعثتهم.

ولمّا كان عدم عصمة الأنبياء يضع علامات استفهامٍ كبيرةٍ أمام اختيارهم من قبل الله ـ تعالى ـ لإيصال وحيه إلى الناس، ولمّا كنّا نواجه بعض الروايات الحاوية على تعابير توحي باعتراف الأنبياء

بالذنب وطلب العفو؛ فلا شكّ أن يخطر في ذهن العلماء السؤال التالي: إذا كان الأنبياء والأئمّة عليهم السلام معصومين من أيّ ذنبٍ أو خطإٍ، فكيف يمكن توجيه اعترافهم لله بالخطإ والتقصير، وكيف لنا أن نوجّه استغفارهم الدائم مع كونهم معصومين ولا يخطئون؟

نتناول في هٰذه المقالة المختصرة الإجابة عن هٰذه التساؤلات، وسنستعرض الآراء المختلفة الّتي كتبت بصدد الأجابة عنها، والله وليّ التوفيق.

تفصيل الشبهة

لا شكّ أنّ أنبياء الله والأئمّة المعصومين عليهم السلام قد اصطفاهم الله لهداية الخلق، ولهٰذا يلزم عصمتهم، بحيث يكونون منزّهين من أيّ معصيةٍ، وبعيدين عن أيّ انحرافٍ، ولا يستطيع الشيطان أن ينفذ فيهم بأيّ وسيلةٍ؛ ولذا استثناهم الشيطان في قسمه: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[1].

وبالنظر إلى مكانة الأنبياء والعصمة الّتي يحملونها سيطرح دائمًا سؤالٌ عن سبب استغفارهم، ولماذا ورد على لسان الأنبياء في بعض

1ـ سورة ص: 82 و83.

الآيات والأدعية استغفار عن ذنوبٍ أو أخطاءٍ قد لا يتلاءم مع مكانتهم، ومن جملته ما خاطب به الله نبيّه محمّدًا ﷺ: ﴿فَاصبِر إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ واسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾[1].

وكذا قول أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام في دعاء كميلٍ:

«اللّهمّ اغفر لي الذنوب الّتي تهتك العصم... اللّهمّ اغفر لي الذنوب الّتي تحبس الدعاء... اللّهمّ اغفر لي كلّ ذنبٍ أذنبته وكلّ خطيئةٍ أخطأتها».

وأكثر صراحةً من كلّ ما تقدّم ما ورد في (الكافي) عن محمّد بن سليمان عن أبيه يقول:

«خَرَجْتُ مَعَ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام إِلَى بَعْضِ أَمْوَالِهِ فَقَامَ إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ، فَلَمَّا فَرَغَ خَرَّ لِلّهِ سَاجِدًا فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ بِصَوْتٍ حَزِينٍ وَتَغَرْغَرُ دُمُوعُهُ: "رَبِّ عَصَيْتُكَ بِلِسَانِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَأَخْرَسْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِبَصَرِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَأَكْمَهْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِسَمْعِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَأَصْمَمْتَنِي،

---

1 ـ سورة غافرٍ: 55.

وَعَصَيْتُكَ بِيَدِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَكَنَّعْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِرِجْلِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَجَذَمْتَنِي وَعَصَيْتُكَ بِفَرْجِي وَلَوْ شِئْتَ وَعِزَّتِكَ لَعَقَمْتَنِي، وَعَصَيْتُكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِي الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَلَيْسَ هٰذَا جَزَاءَكَ مِنِّي". قَالَ: ثُمَّ أَحْصَيْتُ لَهُ أَلْفَ مَرَّةٍ وَهُوَ يَقُولُ: "الْعَفْوَ الْعَفْوَ". قَالَ: ثُمَّ أَلْصَقَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ بِالْأَرْضِ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ حَزِينٍ: "بُؤْتُ إِلَيْكَ بِذَنْبِي، عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرُكَ يَا مَوْلَايَ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَلْصَقَ خَدَّهُ الْأَيْسَرَ بِالْأَرْضِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "ارْحَمْ مَنْ أَسَاءَ وَاقْتَرَفَ وَاسْتَكَانَ وَاعْتَرَفَ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَه»[1].

فما هو السرّ في هٰذه الاعترافات والاستغفارات؟ هل الهدف منها تعليميٌّ وتربويٌّ كما هو الحال في بعض الحوارات ذات الأهداف التربويّة، أو هناك وجهٌ آخر يفسّرها.

الجواب عن الشبهة

وهناك أجوبةٌ عديدةٌ طرحت في هٰذا الصدد، سنتعرّض لها تباعًا، علمًا أنّ الكثير من هٰذه الأجوبة لا تتنافى مع بعضها، ويمكن أن

---

1 ـ الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج3، ص326.

تكون بأجمعها صحيحةً كما هو آتٍ:

الجواب الأوّل: إنّ الذنب والمعصية والرجس وما يقابلها ـ أي اجتناب الذنوب، والطاعة لله على مختلف الأصعدة الأخلاقيّة والاجتماعيّة والتربويّة وغيرها – هي أمورٌ نسبيّةٌ، ويمكن تقييمها بالنظر إلى ظروف الأفراد كلًّا على حدةٍ، وإلى العوامل الذاتيّة والمحيطيّة لكلٍّ منهم، كالعمر والمرحلة الدراسيّة والقوّة الجسميّة والقدرة الماليّة وميزان النموّ الفكريّ وغير ذٰلك من عوامل، ونتيجة التقييم ستكون تقدير هٰؤلاء الأفراد وشكرهم أو توبيخهم وتقريعهم، ففي الأمور الاجتماعيّة كبناء مدرسةٍ أو مشفًى مثلًا، نرى أنّنا إذا أرادنا أن نجمع التبرّعات لهٰذا الغرض، وتبرّع فردٌ فقيرٌ بمبلغٍ بسيطٍ، فسيكون هٰذا الفقير محلّ تقديرٍ واحترامٍ، بينما نرانا نذمّ فردًا ذا ثروةٍ كبيرةٍ تبرّع بأضعاف هٰذا المبلغ الّذي تبرّع به الفقير، مع أنّه جاء للمساعدة في إنجاز مشروعٍ خيريٍّ.

والحال نفسه في رفع الأثقال، فالوزن الّذي نتوقّع حمله من طفلٍ ضعيفٍ أقلّ بكثيرٍ منه من ربّاعٍ معروفٍ، وكذا الحال في المسائل الأخلاقيّة والاجتماعيّة، فالسلوك الّذي نتوقّعه من القرويّ الأمّيّ يختلف كثيرًا عمّا نتوقّعه من المدنيّ الّذي قضى دهرًا في المدينة، وعاش في أجواء التعليم والثقافة. ويمكننا أن نتغاضى عن العمل

القبيح الصادر من الفرد الجاهل، بيد أنّ الأمر مختلفٌ مع العالم، فكم من عملٍ لا يعدّ عيبًا لدى العامّة – بل فضيلةً – ويعدّ عيبًا إذا صدر من شخصٍ عالمٍ.

ومن خلال الأمثلة السابقة نقول إنّ العمل الّذي يعدّ عند الله ذنبًا يعاتب عليه الفرد، والّذي يعدّ معروفًا يؤجر عليه، تبعًا لطبيعة إيمان الفرد وميزان معرفته بالله تعالى. وبحسب ما جاء في الروايات فإنّ الإيمان ذو درجاتٍ كدرجات السلّم، فقد يكون امرؤٌ على الدرجة الأولى، وآخر ارتقى إلى العاشرة، وهٰكذا[1]، فالعمل الّذي ننتظره من الفرد الّذي ارتقى إلى الرتبة العاشرة يختلف كثيرًا عنه من الفرد الّذي يقع على الرتبة الأولى.

وقد جاء في بعض الروايات أنّ إيمان أبي ذرٍّ على الدرجة التاسعة، وإيمان سلمان على العاشرة، والفرق بين هاتين الرتبتين يصل إلى درجةٍ جعلت المعصوم عليه السلام يقول: «لو علم أبو ذرٍّ ما في قلب سلمان لقتله».

وإذا كانت درجات إيمان غير المعصومين متفاوتةً إلى هٰذا الحدّ،

1ـ انظر: الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج 2، ص 45.

فكيف هو الحال في تفاوتها بين الأنبياء وسائر المؤمنين؟! وكيف تتفاوت درجات المرسلين عليهم السلام مع غيرهم من الأنبياء؟ وإلى أيّ مدًى يختلف أولو العزم عليهم السلام عن غيرهم؟ ماذا عن مكانة النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام؟

فإذا عدّ عملٌ ما ذنبًا لفاعله، فلا بدّ أن يتناسب هٰذا الحساب مع هٰذه الاختلافات والمراتب [المذكورة أعلاه]، فيفسّر عمله ذنبًا بالتناسب مع مرتبة إيمانه.

فالأنبياء عليهم السلام إذا ما استغفروا، فهٰذا لا يعني أنّهم يستغفرون من الذنوب العاديّة الّتي ينهون الناس عن اقترافها، بل إنّ مكانتهم تجعلهم يستغفرون لأدنى غفلةٍ عن عظمة الخالق، فنراهم يتوبون إلى ربّهم كما جاء في القرآن المجيد.

وهٰذا التوجيه جاء في كلام بعض العلماء كالخواجة نصير الدين الطوسيّ[1]، والفاضل المقداد[2]، والمحدّث الإربليّ في كتابه (كشف

1ـ انظر: الطوسيّ، نصير الدين، أوصاف الأشراف، ص 17.

2 ـ انظر: الفاضل المقداد، الأنوار الجلاليّة في شرح الفصول النصيريّة، ص 107.

الغمّة)[1]، والعلّامة الطباطبائيّ في تفسيره (الميزان)[2]. وقد قبل صدر المتألّهين الشيرازيّ هٰذا الكلام وذكره في شرحه للكافي[3]، ونقل كلام المحقّق الإربليّ الوارد في كتاب (كشف الغمة).

يقول المحقّق الإربليّ في معرض شرحه لحياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن قضيّة الدعاء الّذي دعا به الإمام عليه السلام في سجوده، والّذي جاء فيه تعابير مثل: "ربّ عصيتك بلساني" ونقلناه آنفًا:

«وتقريره أنّ الأنبياء والأئمة عليهم السلام تكون أوقاتهم مشغولةً بالله تعالى، وقلوبهم مملوّةً به، وخواطرهم متعلّقةً بالملإ الأعلى، وهم أبدًا في المراقبة. كَمَا قَالَ عليه السلام: "اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". فهم أبدًا متوجّهون إليه ومقبلون بكلّهم عليه، فمتى انحطّوا عن تلك الرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرّغ إلى النكاح وغيره من المباحات عدّوه ذنبًا واعتقدوه خطيئةً واستغفروا منه، ألا ترى أن بعض عبيد أبناء الدنيا لو قعد وأكل وشرب ونكح وهو يعلم أنّه بمرأًى من سيّده ومسمعٍ لكان ملومًا عند

---

1 ـ انظر: الإربليّ، عليّ بن عيسى، كشف الغمّة، ج 2، ص 254.

2 ـ انظر: الطباطبائيّ، محمدحسين، الميزان فى تفسير القرآن، ج 6، ص 366.

3 ـ انظر: صدر الدين، محمّد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، ج 4، ص 132.

الناس ومقصّرًا فيما يجب عليه من خدمة سيّده ومالكه، فما ظنّك بسيّد السادات وملك الأملاك.

وإلى هٰذا أشار عليه السلام: "إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ بِالنَّهَارِ سَبْعِينَ مَرَّةً". ولفظة السبعين إنّما هي لعدّ الاستغفار لا إلى الرين[1]، وقَوْلُهُ: "حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ"... فقد بان بهٰذا أنّه كان يعدّ اشتغاله في وقتٍ ما بما هو ضرورةٌ للأبدان معصيةً يستغفر الله منها، وعلى هٰذا فقس البواقي، وكلّما يرد عليك من أمثالها»[2].

ويمكن أن نويّد هٰذه النظريّة بما نسب إلى الإمام السجّاد عليه السلام في (مناجاة المتوسّلين):

«أَنْتَ الْمُسَبَّحُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَالْمَعْبُودُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَالْمَوْجُودُ فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَالْمَدْعُوُّ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَالْمُعَظَّمُ فِي كُلِّ جَنَانٍ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِ لَذَّةٍ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ رَاحَةٍ بِغَيْرِ أُنْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ سُرُورٍ بِغَيْرِ قُرْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ شُغُلٍ بِغَيْرِ طَاعَتِكَ»[3].

---

1 ـ في نسخة من المصدر: لا إلى الغين. المجلسيّ، محمد باقر، بحار الأنوار، ج25، ص205.

2 ـ الإربليّ، محمّد بن عيسى، كشف الغمّة، ج 2، ص 254.

3 ـ المجلسيّ، محمّدباقر، بحار الأنوار، ج 91، ص 151.

يقول العلّامة الطباطبائيّ رحمه الله في هٰذا الصدد:

«وكلّما دقّ المسلك ولطف المقام ظهرت هنالك خفايا من الذنوب كانت قبل تحقّق هٰذا الظرف مغفولًا عنها لا يحسّ بها الإنسان المكلّف بالتكاليف، ولا يؤاخذ بها وليّ المؤاخذة والمحاسبة.

وينتهي ذٰلك ـ فيما يعطيه البحث الدقيق ـ إلى الأحكام الناشئة في ظرفي الحبّ والبغض فترى عين المبغض ـ وخاصّةً في حال الغضب ـ عامّة الأعمال الحسنة سيّئةً مذمومةً، ويرى المحبّ إذا تاه في الغرام واستغرق في الوله أدنى غفلةً قلبيّةً عن محبوبه ذنبًا عظيمًا، وإن اهتمّ بعمل الجوارح بتمام أركانه، وليس إلّا أنّه يرى أنّ قيمة أعماله في سبيل الحبّ على قدر توجّه نفسه وانجذاب قلبه إلى محبوبه، فإذا انقطع عنه بغفلةٍ قلبيّةٍ فقد أعرض عن المحبوب وانقطع عن ذكره وأبطل طهارةً قلبه بذٰلك.

حتّى أنّ الاشتغال بضروريّات الحياة من أكلٍ وشربٍ ونحوهما يعدّ عنده من الإجرام والعصيان؛ نظرًا إلى أنّ أصل الفعل وإن كان من الضروريّ الّذي يضطرّ إليه الإنسان، لٰكنّ كلّ واحدٍ واحدٍ من هٰذه الأفعال الاضطراريّة من حيث أصله اختياريٌّ في نفسه، والاشتغال به اشتغالٌ بغير المحبوب، وإعراضٌ عنه اختيارًا وهو من الذنب؛ ولذٰلك نرى أهل الوله والغرام وكذا المحزون الكئيب ومن في

عداد هٰؤلاء يستنكفون عن الاشتغال بأكلٍ أو شربٍ أو نحوهما.

وعلى نحوٍ من هٰذا القبيل ينبغي أن يحمل ما ربّما يروى عنه ﷺ من قوله: "إنّه ليغان على قلبي فأستغفر الله كلّ يومٍ سبعين مرّةً"[1].

بيد أنّ البعض لم يقبل هٰذا التحليل، وأشكلوا عليه بأنّ أولياء الله – تعالى – كانوا يقصدون القربة إلى الله من كلّ أعمالهم المباحة في ظاهرها؛ ولذا فإنّ المباحات عندهم كانت تعبّدًا لله سبحانه، فلم يكن هنالك من عملٍ يمكن تسميته مباحًا بالنسبة لهم كسائر البشر[2].

الجواب الثاني: أنّ البعض ومن جملتهم العلّامة النراقيّ والسيّد ابن طاووسٍ – كما جاء في كتاب (كشف الغمة) – قالوا إنّ هٰذا النمط من الاستغفار وإظهار التذلّل أمام الله – تعالى – ذو هدفٍ تعليميٍّ؛ إذ إنّ النبيّ ﷺ والأئمّة من بعده عليهم السلام علّموا الناس باستغفارهم ودلّوهم على طريق الرجوع إلى الله عزّ وجلّ، فلا بدّ من تعلّم آداب التعبّد وطرق التوبة من كلام المعصومين عليهم السلام وعملهم الّذين علّموا

---

1 ـ الطباطبائيّ، محمّدحسين، الميزان في تفسير القرآن، ج 6، ص 366.

2 ـ السبزواريّ، الملّا هادي، أسرار الحكم، ج 1، ص 479 و480.

الناس هٰذه الطريقة[1].

يمكن الإيراد عليه بأنّه قد يكون الأمر كذٰلك في بعض الموارد بنحو الموجبة الجزئيّة، ولٰكن لا يمكن إعمامه للحالات الخاصّة الّتي يخلو فيها المعصوم بربّه، وإنّما قد يتّفق اطّلاع الغير عليه كما في قصّة عائشة والنبيّ صلى الله عليه وآله في ليلة النّصف من شعبان، حيث روي عنها أنّها قالت:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عِنْدِي فِي لَيْلَةِ الَّتِي كَانَ عِنْدِي، فِيهَا فَانْسَلَّ مِنْ لِحَافِي فَانْتَبَهْتُ فَدَخَلَنِي مَا يَدْخُلُ النِّسَاءَ مِنَ الْغَيْرَةِ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ فِي بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَإِذَا أَنَا بِهِ كَالثَّوْبِ السَّاقِطِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ سَاجِدًا عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: "أَصْبَحْتُ إِلَيْكَ فَقِيرًا خَائِفًا مُسْتَجِيرًا؛ فَلَا تُبَدِّلِ اسْمِي وَلَا تُغَيِّرْ جِسْمِي وَلَا تُجْهِدْ بَلَائِي وَاغْفِرْ لِي". ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَسَجَدَ الثَّانِيَةَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "سَجَدَ لَكَ سَوَادِي وَخَيَالِي وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِي هٰذِهِ يَدَايَ بِمَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِي، يَا عَظِيمٌ تُرْجَى بِكُلِّ عَظِيمٍ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِيَ الْعَظِيمَ، فَإِنَّهُ لَا

---

1 ـ انظر: الإربليّ، محمّد بن عيسى، كشف الغمّة، ج 2، ص 254؛ النراقيّ، محمّدمهديّ، جامع السعادات، ج 3، ص 81.

يَغْفِرُ الْعَظِيمَ إِلَّا الْعَظِيم"»[1].

الجواب الثالث: أنّ استغفار المعصومين نوعٌ من العبادة – كما هو تسبيحهم ودعاؤهم – لرفع درجاتهم، وليس ناجمًا عن ذنوبٍ اقترفوها. يقول المرحوم المجلسيّ في شرحه على (الكافي) في باب (ابتلاء الأولياء بالبلاء): «إنّ استغفار النبيّ ﷺ كما أنّه لم يكن لحطّ الذنوب بل لرفع الدرجات، فكذا ابتلاؤهم عليهم السلام ليست لكفّارة الذنوب، بل لكثرة المثوبات وعلوّ الدرجات»[2].

الجواب الرابع: لمّا كان إدراك عظمة الإلٰه والعبادة على درجاتٍ مختلفةٍ، نرى أولياء الله عندما يصلون إلى درجةٍ أعلى من الّتي سبقتها، وعندما يطوون مرحلةً كماليّةً ويدخلون مرحلةً أكمل؛ يوقنون بأنّ أعمالهم في المرحلة السابقة أعمالٌ صغيرةٌ أمام عظمة الله جلّ شأنه؛ ولذا فإنّهم يتوبون عنها ويستغفرون[3].

---

1 ـ الطوسيّ، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، ج 2، ص 839 و841.

2 ـ المجلسيّ، محمّدباقر، مرآة العقول، ج 11، ص 347.

3 ـ انظر: البحرانيّ، محمّد بن عبد الله، شرح دعاء النبيّ ﷺ بعد الصلاة، المطبوع فى ضمن (مجموعة رسائل في شرح أحاديث الكافي)، ج 2، ص

ويشهد لذٰلك ما نلاحظه في أحوال الأئمّة من حالات التضرّع والدعاء والطلب، وكذٰلك اجتهادهم في العبادة لله، وقد ورد في النصوص ما يشير إلى تكاملهم، منها ما رواه الكليني في (الكافي) في باب (أنّ الأئمّة عليهم السلام يزدادون فى ليلة الجمعة)[1]، وباب (لولا أنّ الأئمّة عليهم السلام يزدادون لنفد ما عندهم)[2]، ومفاد ذٰلك ازدياد علومهم وكمالات مقامهم الإنسانيّ:

«عَنْ يُونُسَ أَوِ الْمُفَضَّلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: مَا مِنْ لَيْلَةِ جُمُعَةٍ إِلَّا وَلِأَوْلِيَاءِ اللهِ فِيهَا سُرُورٌ. قُلْتُ: كَيْفَ ذٰلك جُعِلْتُ فِدَاكَ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ وَافَى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْعَرْشَ وَوَافَى الْأَئِمَّةُ عليهم السلام وَوَافَيْتُ مَعَهُمْ، فَمَا أَرْجِعُ إِلَّا بِعِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، وَلَوْلَا ذٰلِكَ لَنَفِدَ مَا عِنْدِي»[3].

«ورُوِيَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله سَأَلَ رَبَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ اللهُ

199؛ الغزاليّ، أبو حامدٍ، الأربعون في أصول الدين، ص 117.

1 ـ الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج 1، ص 253.

2 ـ الكلينيّ، محمّد بن يعقوب ، الكافي، ج 1، ص 254.

3 ـ المصدر السابق.

تَعَالَى: لَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلَ عِنْدِي مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَيَّ وَالرِّضَا بِمَا قَسَمْتُ. يَا مُحَمَّدُ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَعَاطِفِينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ، وَوَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيَّ، وَلَيْسَ لِمَحَبَّتِي عِلْمٌ وَلَا غَايَةٌ وَلَا نِهَايَةٌ وَكُلَّمَا رَفَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا وَضَعْتُ لَهُمْ عِلْمًا»[1].

الجواب الخامس: لا شكّ أنّ الأنبياء وسائر المعصومين عليهم السلام هم بشرٌ يعيشون كسائر الناس، ويتعاملون معهم، وهٰذا بنفسه يوجب بدرجةٍ ما انشغالًا عن الحقّ سبحانه، فهم وإن كانوا يرون الخلق والمخلوقين مرآةً لرؤية الحقّ سبحانه، ولٰكنّها مرآةٌ لا تخلو من كدورة الاشتغال بالكثرات، وهي درجةٌ دون الاشتغال بوحدة الحقّ ـ تعالى ـ بنفسه، فيكون الاستغفار من هٰذا الاشتغال المشوب بالكدورة، يقول الإمام الخميني رحمه الله في مقدّمة كتابه (آداب الصلاة):

«أي بني، اسع أن تسير على الصراط المستقيم.. صراط الله، حتّى لو كان سيرك في هٰذا الصراط بطيئًا، واجعل كلّ حركاتك وسكنات

---

1 ـ الديلميّ، حسن بن محمّدٍ، إرشاد القلوب، ج 1، ص 199.

قلبك تصطبغ بلون المعنويّة، واجعل [سبب] خدمتك للخلق منحصرًا في كونهم خلق الله. إنّ أنبياء الله وأولياءه الخاصّين لم يكونوا من أهل الدنيا، مع أنّهم كانوا يعملون ويتعيّشون كما يتعيّش الناس؛ إذ إنّ اشتغالهم كان بالحقّ وللحقّ، وقد روي عن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله أنّه قال: "إنّه لَيغانُ عَلى قَلبي وَإِنّي لَأَسْتَغفِرُ الله في كلِّ يومٍ سَبْعينَ مرَّة". ولعلّه صلى الله عليه وآله كان يعدّ رؤية الحّق في الكثرة كدورةً»[1].

وفي موضعٍ آخر من الكتاب، يقول السيّد الخمينيّ رحمه الله:

«وإذا كان سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله يقول: "ليغان على قلبي وإنّي لأستغفر الله في كلّ يوم سبعين مرّةً"، فذٰلك لأنّ رؤية جمال المحبوب في المرايا، خصوصا المرايا الكدرة كأبي جهل، يكون للكمّل كدورةً. وإذا لم يكن قلبهم قويًّا، وكان الاشتغال بالكثرات حائلًا دون الحضور، فبمجرّد أن يقلّ اشتغالهم [بهٰذه الكدورات] فإنّ طائر قلوبهم سيطير ليحلّق في حضيرة القدس، ليتعلّق بجمال الجميل [جلّ ثناؤه]»[2].

---

1 ـ الموسويّ الخمينيّ، روح الله، آداب الصلاة، ص 12.

2 ـ المصدر السابق، ص 55.

الجواب السادس: أنّ الإنسان العارف لا يرى نفسه شيئًا، بل يراها هالكةً باطلةً في حدّ ذاتها، وإنّما قوامها بباريها، وعمله بالطاعة إنّما هو بقوّة الله ـ تعالى ـ وإقدارٍ منه، فكلّما أحدث شكرًا لزمه شكرٌ على شكره، وكلّ ذٰلك دون استحقاقٍ من صوّره وأقدره، وبكيفيّة شكره أعلمه وأخبره؛ فأنّى يبرأ العبد من التقصير؟! وأنّى يقوم بما يستوجبه اللطيف الخبير[1]؟!

الجواب السابع: أنّ استغفارهم عليهم السلام كان لأممهم وشيعتهم، ويمكن أن يستفاد هٰذا الوجه ممّا ذكره المجلسيّ ـ رحمه الله ـ في شرحه لرواية تشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[2]. بقوله: «وللشيعة في تأويله أقوالٌ: أحدها: أنّ المراد هو ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنب أمّتك وما تأخّر بشفاعتك، وإضافة ذنوب أمّته إليه للاتّصال والسبب بينه وبين أمته، ويؤيّده ما رواه المفضّل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: "سأله رجلٌ عن هٰذه الآية فقال: والله ما كان له ذنبٌ ولٰكنّ، الله –

---

1 ـ البحرانيّ، محمّد بن عبد الله، شرح دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله بعد الصلاة، المطبوع في ضمن مجموعة رسائل في شرح أحاديث (الكافي)، ج 2، ص 200.

2 ـ سورة الفتح: 1 و2.

سبحانه – ضمن له أن يغفر ذنوب شيعةٍ على ما تقدّم من ذنبهم وما تأخّر". وروى عمر بن يزيد عنه عليه السلام قال: "ما كان له ذنبٌ، ولا همّ بذنبٍ ولٰكنّ الله حمّله ذنوب شيعته ثمّ غفرها له"»[1].

1 ـ المجلسيّ، محمّدباقر، مرآة العقول، ج 8، ص 149.

النتيجة

يتّضح ممّا تقدم اتّفاق الوجوه السابقه على أمرٍ واحدٍ تشترك فيه، وهو عدم كون استغفار الأنبياء راجعًا للمعاصى المتعارفة المعهودة، كما تشير إليه رواية عليّ بن رئابٍ:

«عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿وَما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أَرَأَيْتَ مَا أَصَابَ عَلِيًّا وَأَهْلَ بَيْتِهِ عليهم السلام مِنْ بَعْدِهِ هُوَ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَهُمْ أَهْلُ بَيْتِ طَهَارَةٍ مَعْصُومُونَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَتُوبُ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِئَةَ مَرَّةٍ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، إِنَّ اللهَ يَخُصُّ أَوْلِيَاءَهُ بِالْمَصَائِبِ لِيَأْجُرَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ»[1].

فاستغفار أولياء الله لا يتنافى مع عصمتهم، ويمكن توجيهه بما يلي:

استغفارهم لم يكن ناشئًا من عصيان الأوامر الّتي جاءوا بها أنفسهم لهداية الناس، وإذا وردت نسبة العصيان إليهم فلا بدّ من تفسيره بما يناسب مكانتهم، فأقلّ قصورٍ يصدر عنهم في التفاتهم إلى

---

1 ـ الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج 2، ص 450.

الله يعدُّ معصيةً منهم، ولا يُعدُّ معصيةً لغيرهم.

استغفارهم كان لتعليم الناس آداب التعبّد والرجوع إلى الله .

استغفارهم كان نوع عبادةٍ لرفع درجاتهم وليس عن ذنبٍ اقترفوه.

الأنبياء في سلوكهم درجات المعرفة، كلّما يرتقون درجةً في المعرفة يرون معرفتهم وعباداتهم السابقة لا تليق بعظمة الله، فيستغفرون منها.

يستغفرون من رؤية الحقّ فى الكثرات الخلقيّة.

يرون أنفسهم في حدّ التقصير مهما كان مقامهم.

يستغفرون لذنوب أممهم وشعيتهم؛ لأنّهم منتسبون إليهم.

المصادر

القرآن الكريم .

1. الإربليّ، عليّ بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، تحقيق هاشم رسولي محلاتيّ، الناشر: بني هاشميّ، تبريز، الطبعة الأولى 1423 هـ.
2. البحرانيّ، محمّد بن عبد الله، شرح دعاء النبيّ ﷺ بعد الصلاة، المطبوع ضمن (مجموعۀ رسائل در شرح احاديثى از كافى) للشيخ سليمانيّ آشتيانيّ، مهدي ومحمد حسين درايتيّ، دار الحديث، إيران؛ قم، الطبعة الأولى، سنة 1429 هـ.
3. الديلميّ، حسن بن محمّدٍ، إرشاد القلوب إلى الصواب، الشريف الرضيّ، قمّ، الطبعة الأولى، سنة 1412 هـ.
4. السبزواريّ، الملّا هاديّ، أسرار الحكم، المطبوعات الدينيّة، قمّ، الطبعة الأولى، سنة 1425 هـ.
5. صدر الدين الشيرازيّ، محمّد بن إبراهيم، شرح أصول الكافي، مؤسّسة الأبحاث الثقافيّة، طهران، الطبعة الأولى، 1425 هـ.
6. الطباطبائيّ، محمّدحسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة بقمٍّ.
7. الطوسيّ، الخواجة نصير الدين، أوصاف الأشراف، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ.

8. الطوسيّ، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، مؤسّسة فقه الشيعة، بيروت، الطبعة الأولى ، سنة 1411 هـ.
9. الغزّاليّ، أبو حامد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1409 هـ.
10. الفاضل المقداد، المقداد بن عبد الله السيوريّ الحلّيّ، الأنوار الجلاليّة في شرح الفصول النصيريّة، مجمع البحوث الإسلاميّة، مشهد، الطبعة الأولى، سنة 1420 هـ.
11. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق علي أكبرغفاريّ ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الرابعة، سنة 1407هـ.
12. المجلسيّ، محمّدباقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، تحقيق جمعٍ من المحقّقين، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الثانية.
13. المجلسيّ، محمّدباقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تحقيق هاشم رسولي محلاتيّ، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، الطبعة الثانية، سنة 1404هـ.
14. الموسويّ الخمينيّ، روح الله، آداب نماز، مؤسّسۀ چاپ و نشر عروج، مؤسّسۀ تنظيم و نشر آثار امام خمينى رحمه الله، 1373 ش.
15. النراقيّ، محمّدمهديّ، جامع السعادات، تحقيق السيّد محمد كلانتر ـ تقديم الشيخ محمّدرضا المظفّر، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.

المحتويات

كلمة المؤسّسة 5
مقدّمةٌ 9
تفصيل الشبهة 10
الجواب عن الشبهة 12
النتيجة 27
المصادر 29
المحتويات 31